ملخص:

يحاول البحث معرفة مدى التزام المتنبي بمسألة العرف اللغوي في جموع التكسير؛ حين تتعدد صيغة الجمع للمفرد الواحد، ويصرف العرف اللغوي أحد الجمعين لدلالة معينة، ويصرف الجمع الآخر لدلالة أخرى، وإلى أي مدى التزم المتنبي بهذا العرف في شعره، كما يبحث أيضا في مدى التزام المتنبي بتقسيم النحاة جموع التكسير إلى جموع قلة وجموع كثرة، وذلك بربط هذه الجموع بسياقاتها ودلالاتها المختلفة باختلاف سياقاتها.

Abstract:

This research paper endeavors to determine the extent to which Al-Mutanabbi adhered to the established linguistic conventions regarding internal broken plurals in cases when a singular noun has multiple plural forms which the linguistic conventions assign one of them to a specific semantic meaning and another to a different semantic meaning. It further examines the extent of Al-Mutanabbi's commitment to this linguistic norm in his poetry. It also investigates the degree to which Al-Mutanabbi conforms to the grammarians' classification of broken plurals into plurals of paucity and plurals of multitude. This analysis will be conducted through examining the usage of these plurals within their various respective contexts and according to their context-based semantic meanings.

Keywords: Al-Mutanabbi, broken plural, plurals of multitude, plurals of paucity, singular, plural.

تقديم:

يتناول هذا البحث قضيتين من قضايا جمع التكسير في شعر المتنبي، القضية الأولى: العرف اللغوي، إذ كيف يمكن أن تؤثر الدلالة في تغير بنية جمع التكسير للمفرد الواحد، بحيث يكون للمفرد الواحد أكثر من جمع تكسير، وتستخدم الجماعة اللغوية أحد الجمعين لدلالة معينة، على حين تصرف الجمع الآخر لدلالة أخرى، والمفرد واحد؛ بحيث يصبح هذا الاستعمال عرفا لغويا تعارفت عليه الجماعة اللغوية، وكيف كان استعمال المتنبي لهذه القضية في شعره.

القضية الثانية، هي مسألة القلة والكثرة التي نص عليها النحويون في حديثهم عن جمع التكسير، إذ قسموه إلى جموع دالة على القلة، وجموع دالة على الكثرة، وتبحث هذه الورقة في استعمالات المتنبي لجمع التكسير، هل التزم بتقسيم النحاة أم خرج عليه، وقد اقتضى هذا البحث أن يكون في مبحثين، على نحو ما هو وارد فيما يأتي:

المبحث الأول: العرف اللغوي في شعر المتنبي:

من القضايا التي تتعلق بجمع التكسير قضية العرف اللغوي، حيث تختلف دلالة الجمع باختلاف صيغته، ولاسيما تلك الألفاظ التي يطلق عليها الألفاظ العرفية التي تختلف باختلاف عُرف الناس لها، فتكون مدحًا في بعض الأزمنة، وذمًّا في بعضها الآخر؛ مما قد يحدث لبسا لدى السامع، فيفهم الكلمة على غير وجهها الصحيح؛ مما يستدعى الخبرة بمدلولات الألفاظ[١]، حيث يظهر العرف اللغوي فارقا بين الدلالات، فإذا كانوا قد قالوا: إن (البيت) يُجمع في القلة على (أبْيات)، وفى الكثرة على (بُيوت)، فإن ذلك العرف اللغوي قد صرف دلالة الجمع (أبيات) جمعا لبيت الشعر الموزون المقفَّى، وصرف دلالة الجمع (بُيوت) جمعا للبيت الذى يُسكن فيه. كذلك كلمة (العَامل) تجمع في اللغة قياسا على (عُمَّال) و(عامِلين)، إلا أن العرف اللغوي صرف كلمة (العُمَّال) للدلالة على الحرفيين وأصحاب الصناعات اليدوية، على حين صرف كلمة (العاملين) للدلالة على الموظفين[٢].

وقد ذهب الدكتور محمود الطناحي إلى رصد بعض دواعي هذا العرف، وتتبع أسبابه، فذكر منها ما يأتي[٣]:

أولا: الاستسهال أو الاستحسان، استسهال بنية دون بنية، واستحسان وزن دون وزن، ثم متابعة اللاحق للسابق؛ مما يمكن أن يسمى: الكسل اللغوي.

ثانيا: رغبتهم في تثبيت الفروق اللغوية في الدلالات، كالتفرقة في جمع (العَبْد) بين عباد الله، والعبيد المملوكين.

ثالثا: قد يكون الأمر في العرف اللغوي مجرد الاستعمال، وتصرف العرب في كلامها، يكثر استعمالها لشيء، ويقل استعمالها في شيء آخر مع تساويهما في الصحة والجواز.

---

[١] انظر: ابن السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق الدكتور عبد الفتاح الحلو، والدكتور محمود الطناحي، عيسى البابي الحلبى، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م: ١٨/٢.

[٢] انظر: الطناحي، محمود محمد، جموع التكسير والعرف اللغوي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء الحادي والسبعون ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م: ١٤٠، ١٤١.

[٣] انظر: السابق: ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤.

وقد استخدم المتنبي بعض جموع التكسير التي يبدو فيها العرف اللغوي سببا في اختلاف دلالة الجمع تبعا لاختلاف صيغته، ومن هذه الجموع ما يأتي:

١- عِباد وعَبِيد:

"العَبْدُ: الإنسان حرًّا كان أو رقيقًا، يُذهب بذلك إلى أنه مربوب لباريه"[٤]. والعَبْد صفة استعملت استعمال الأسماء، وتجمع على أَعبُد وعِباد وعَبِيد[٥]، وقد صرف العرفُ اللغوي كلمة (العِباد) مضافة إلى الله سبحانه وتعالى ويقصد بها الخَلق، على حين صرف كلمة (العَبيد) مضافة إلى الناس ويقصد بها الأرقَّاء، قال ابن جني " أكثر اللغة أن تستعمل (العَبيد) للناس و(العِباد) لله"[٦]، كقوله تعالي ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ** ﴾[٧]، وقوله تعالى ﴿ **ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ** ﴾[٨]، وقال ابن الشجري" و(العِباد) مختص بالله تعالى، يقولون: نحن عبادُ الله، لا يكادون يضيفونه إلى الناس"[٩] .

وإذا كان الاستعمال قد كثر في مجيء (العِباد) مختصا بالله تعالى، و(العَبيد) مختصا بالناس، فقد قام كل منهما مقام الآخر، فمن إقامة (العَبيد) مقام (العِباد) قوله

---

[٤] ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: عبد الله على الكبير ، ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلي. دار المعارف بمصر. الطبعة الثالثة، بدون تاريخ: ٢٧٧٦/٤ (ع ب د).

[٥] انظر: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب. شرح وتحقيق: عبد السلام هارون. دار الجيل. بيروت. لبنان الطبعة الأولى. بدون تاريخ: ٦٢٨/٣.

[٦] ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف، ود. عبد الحليم النجار، ود. عبد الفتاح إسماعيل شلب، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة ١٣٨٦هـ: ١٤/٢

[٧] سورة الحجر، آية: ٤٢.

[٨] سورة الزمر، آية: ١٦.

[٩] ابن الشجري، هبة الله على بن محمد بن حمزة الحسيني العلوي، أمالي ابن الشجري، تحقيق ودراسة الدكتور/ محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي. الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م: ٩٩/١.

تعالى ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾[١٠]، وقوله تعالى ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾[١١]، وقراءة على بن أبى طالب والحسن ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عَبِيدًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ..**﴾[١٢].

ومن إقامة (العِباد) مقام (العَبيد) ما أنشده سيبويه من قول القائل[١٣]:

أَتُوعِدُنِي بقومِك يا ابن حجْلٍ أُشَاباتٍ يُخالُون **العِبادَا**

بِما جَمعتَ من حَضَنٍ وعمرٍو وما حَضَنٌ وعمرٌو والجِيادَا

قال ابن جني " أي: يخالون عبيدًا[١٤].

وقد ورد لفظ (العبيد) في شعر المتنبي بمعنى الأرقاء المملوكين في قوله[١٥]:

وإنَّ الذي أَمْسَتْ نِزارٌ **عَبِيدَهُ** غَنَّيٌّ عن اسْتِعْبَادِهِ لِغَرِيبِ

يقول- مشيرا إلى سيف الدولة- إن الذي أمست نزار- ومنها مضر وربيعة وهما سادات العرب- عبيد طاعته، وأنصار دعوته، وخدام دولته، غني عن غريب من العجم يصطنعه، وجليب منهم يستعبده[١٦].

وقوله مادحا سيف الدولة[١٧]:

مِن **عَبيدِي** إن عشتَ لي ألفُ كافورٍ ولِي مِن نَداكَ ريفٌ ونِيلُ

---

[١٠] سورة فصلت، آية: ٤٦.

[١١] سورة الأنفال، آية: ٥١.

[١٢] سورة الإسراء، آية: ٥، وانظر هذه القراءة في المحتسب: ١٤/٢.

[١٣] البيتان لشقيق بن جزء الباهلي. انظر: الكتاب:٣٠٤/١، المحتسب:١٤/٢، أمالي ابن الشجري: ٩٩/١، ١٠٠.

[١٤] المحتسب:١٥/٢.

[١٥] المتنبي، أبو الطيب، ديوانه، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام، دار المعارف، تونس ١٩٩١م: ٣١٦.

[١٦] انظر: ابن الأفليلي، أبو القاسم إبراهيم بن محمد، شرح معاني شعر المتنبي، دراسة وتحقيق الدكتور مصطفى عليان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، السفر الأول:٢/ ١٠، ١١.

[١٧] ديوانه: ٤٣٠.

أي: إن عشت لي، فلي من عبيدي ألف كافور مثل الذي رغبت عن صحبته، ولي من نداك عوض من الريف والنيل[١٨]، كما ورد لفظ (العِباد) في شعره مضافا إلى الله- عز وجل- في قوله[١٩]:

كَشَّفتُ جَمهرةَ **العِبادِ** فلمْ أَجدْ إلَّا مَسودًا جَنبهُ مَرؤُوسَا

يقول: فتشت جماعات العِباد، فلم أجد بينهم- بالإضافة إلى الممدوح- إلا مسودًا أو مرؤوسا، فكل رئيس في جنبه مرؤوس، وكل سيد مسود؛ فهو سيد السادات، ورئيس الرؤساء[٢٠]، بيد أن المتنبي خالف ذلك العرف اللغوي، وأطلق لفظ (العِباد) وهو يريد به (العَبيد) المملوكين، وذلك في قوله يمدح سيف الدولة[٢١]:

أَنلتَ **عبادَك** ما أَمَّلُوا أنالَكَ رَبُّكَ ما تَأمُلُ

ذهب ابن جنى إلى أن المعنى الذي يريده المتنبي هو " أعطيت عبيدك، يعنى: الناس، جعلهم عبيدا له – لأنه ملك – ما رَجوْه من عطائه، ثم دعا له بباقي البيت أن يكافئه الله بمثل فعله، فينيله ما يأمله"[٢٢]، وقال الواحدي: لو قال (عَبيدك) كان أحسن؛ لأن الأكثر في الاستعمال أن (العباد) إنما يطلق في عباد الله تعالى، فأما المضاف إلى الناس فقلما يقال فيه العِباد"[٢٣].

وأغلب الظن أن هذا المعنى ليس بخاف على المتنبي، فكان بإمكانه استعمال لفظ (عبيد) دون تغيير في الوزن أو الموسيقى، ولكنه يستعمل لفظة (عِباد) هنا مستغلا

---

[١٨] ينظر: العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين ، شرح ديوان أبى الطيب المتنبي ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مصطفى البابي الحلبي ١٣٩١هـ - ١٩٧١م: ٣/ ١٥٨.

[١٩] ديوانه: ٥٣.

[٢٠] ينظر: الديوان بشرح العكبري: ٢/ ١٩٧.

[٢١] ديوانه: ٢٩٨.

[٢٢] شرح الواحدي :٤٤٩ ، ٤٥٠ ، الديوان بالشرح المنسوب للعكبري:٣/٧٤.

[٢٣] الواحدي، على بن أحمد، شرح ديوان أبى طالب الطيب المتبنى. تصحيح: فريدرنح ديتريصى، برلين ١٨٦١م، نشر دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ :٤٤٩.

إيحاءاتها الخاصة في حديثه عن الممدوح[٢٤]. وتتجلى مهارة المتنبي في الشطر الثاني، فهو حين أطلق على الناس لفظ العبودية لسيف الدولة في الشطر الأول، جعله مربوبا مثلهم في الشطر الثاني[٢٥]، فقال: أنالَكَ رَبُّكَ ما تَأمُلُ.

٢- أَيْدِى وأَيَادِي:

"اليد: الكفُّ..، وهى أنثى محذوفة اللام، وزنها (فَعْلٌ) يَدْيٌ، فحذفت الياء تخفيفا"[٢٦]، والدليل على سكون عينها أنها تجمع على (أيدٍ) ، وقياس (فَعْل) أن يجمع في القلة على (أَفعُل) كأكلُب وأكعُب[٢٧]،" وتطلق (اليد) مجازا على الإحسان والنعمة، وما يتخذه الرَّجُل عند الرَّجُل من الفضل والعون والمعروف "[٢٨]، وفى لسان العرب " واليد: النعمة والإحسان تصطنعه، والمِنَّة والصَّنِيعة، وإنما سميت (يدًا)؛ لأنها إنما تكون بالإعطاء، والإعطاء إنالة باليد"[٢٩]، وذهب ابن الشجري إلى أنه " يجوز أن تكون (اليد) التي هي النعمة مأخوذة من التي هي الجارحة؛ لأن النعمة تُسدى باليد، ويجوز أن تكون الجارحة مأخوذة من النعمة؛ لأن اليد نعمة من نعم الله على العبد"[٣٠].

وتُجمع (اليد) على (الأيدي والأيادي)، لكن العرف اللغوي في الأكثر يجعل كلمة (الأيادي) جمعا لليد بمعنى النعمة، ويجعل كلمة (الأيدي) جمعا لليد بمعنى العضو، يقول ابن جني "اليد التي هي العضو قالوا فيها (أيدٍ) البتة، فأما (أيادٍ) فتكسير (أيدٍ) لا تكسير (يد)؛ وعلى أن (أيادٍ) أكثر ما تستعمل في النعم لا في الأعضاء "[٣١]، وقال

---

[٢٤] انظر: المانع، سعاد عبد العزيز، سيفيات المتنبي. دراسة نقدية للاستخدام اللغوي، دار عكاظ للطباعة والنشر، جدة، المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م: ٢٢٥.

[٢٥] انظر: العكبري، شرح ديوان المتنبي:٣/٧٤.

[٢٦] ابن منظور، لسان العرب: ٦/٤٩٥٠ (ي د ي).

[٢٧] انظر: ابن الشجري، أمالي ابن الشجري :٢/٢٣١.

[٢٨] الطناحي، جموع التكسير والعرف اللغوي :١٧٠.

[٢٩] ابن منظور، لسان العرب:٦/٤٩٥٢ (ي د ي).

[٣٠] ابن الشجري، أمالي ابن الشجري: ٢/٢٣١.

[٣١] ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد على النجار. دار الكتب المصرية. الطبعة الثانية، ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م :١/٢٦٧.

ابن الشجري " وجمع (اليد) التي هي الجارحة – في الأكثر– على (أيدٍ)، وقد جاء جمعها على (أياد)... و(اليد) التي هي النعمة جمعها في الأكثر الأشهر على (الأيادي)، وقد جمعوها على (الأيدي)"[٣٢]. ومن شواهد جمع (اليد) بمعنى العضو على (أيدٍ) قوله تعالي ﴿**لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ**﴾[٣٣]، ومن شواهد جمع (اليد) بمعنى النعمة على (أيادٍ) قول أبى تمام[٣٤]:

فإذَا هُلهِلَ النَّوالُ أتَتْنا ذاتُ نيريْنِ مُطبقاتُ **الأيادِي**

قال التبريزي في تعليقه على هذا البيت "الأيادي: النِّعم"[٣٥]، وقال الشاعر[٣٦]:

لهُ علىَّ **أيادٍ** لستُ أَكْفرُهَا وإنَّمَا الكُفرُ ألَّا تُشكَرَ النِّعمُ

وقد وردت (الأيادي) جمعا (لليد) بمعنى العضو، من ذلك قول عدي بن زيد[٣٧]:

سَاءَهَا ما تأمَّلتْ في **أَيادِينَا** وأَشناقُها إلى الأعناقِ ، وقال نقيع بن جرموز[٣٨]:

أما واحدًا فَكفَاكَ مِثلِي فَمنْ ليَدٍ تُطاوِحُها الأَيادِي

وقد وردت كلمة (الأيدي) في شعر المتنبي جمعا (لليد) بمعنى العضو، منها قوله[٣٩]:

جُودُ الرِّجال مِن **الأيدي** وَجُودُهُمُ مِنَ اللِّسانِ فَلا كانُوا وَلا الجُودُ

يقول: كرم الناس من الأيدي، وهو المال، وهؤلاء كرمهم من الألسنة، وهو الوعد[٤٠]، كما وردت كلمة (الأيادي) جمعا (لليد) بمعنى النعمة في شعر المتنبي في قوله[٤١]:

---

[٣٢] ابن الشجري، أمالي ابن الشجري :٢/٢٣١ ، ٢٣٢.

[٣٣] سورة يس، آية:٣٥.

[٣٤] ديوانه: ١/٣٦٦.

[٣٥] السابق:١/٣٦٦.

[٣٦] ابن منظور، لسان العرب:٦/٤٩٥٣ (ي د ي).

[٣٧] ابن جني، الخصائص:١/٢٦٧، القيسي، إيضاح شواهد الإيضاح:٢/٧٩٨.

[٣٨] الفارسي، أبو علي الحسين بن أحمد ، التكملة. تحقيق الدكتور/ حسن شاذلي فرهود. الطباعة العربية السعودية، العمارية. الرياض. الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م: ١٦١، ابن جني، الخصائص :١/٢٦٨، القيسي، إيضاح شواهد الإيضاح:٢/٧٩٧.

[٣٩] ديوانه: ٤٨٦.

[٤٠] ينظر: العكبري، شرح ديوان المتنبي: ٢/ ٤٢.

[٤١] ديوانه: ٤.

لهُ **أيادٍ** إليَّ سابقةٌ أُعَدُّ منها ولا أُعدِّدُها

يقول: إن له علينا نعمًا سابقة، لا أستطيع أن أحصيها من كثرتها، غير أني أُعَدُّ من تلك النعم، وأُوجد منها[٤٢]، إلا أن المتنبي خرج عن مألوف العرف اللغوي، فاستعمل (الأيدي) جمعا (لليد) بمعنى النعمة في قوله[٤٣]:

أقبَلتُها غُرَرَ الجِيادِ كأنَّما **أيدِي** بَنِي عِمرَانَ في جَبَهاتِها

قال الواحدي " وعُني بالأيدي: النعم، وجرت العادة في جمع (يد) النعمة بـ(الأيادي)، وفى (يد) العضو بالأيدي"[٤٤].

كما استعمل (الأيادي) جمعا (لليد) بمعنى العضو في قوله[٤٥]:

يُقعي جلوسَ البدويّ المُصطَلي بأربَعٍ مجدولَةٍ لم تُجدَلِ

فُتْلِ **الأيادِي** رَبِذاتِ الأرجُلِ آثارُها أمثالُها في الجندَلِ

فهو يصف كلبا بأن قوائمه مفتولة سريعة العدو، و(الأيادي) جمع (أيد)، و(أيد) جمع (يد) بمعنى العضو.

٣- أَبْيات وبُيُوت:

البَيتُ: ما يُسكن فيه، "وبَيتُ الرجل: دارُه ، وبَيتُه قصرُه "[٤٦]، شَبَّهوا به البيت من الشِّعر؛ "لأنه يضم الكلامَ كما يضم البيتُ أهلَه؛ ولذلك سموا مقطَّعاته أسبابًا وأوتادا على التشبيه لها بأسباب البيوت وأوتادها"[٤٧].

ويُجمع (البيتُ) بمعنييه قياسا على (أَبْياتٍ وبُيُوتٍ)، ولكن العرف اللغوي يجعل (البُيوتَ) أكثر ما تستعمل جمعا (للبيتِ) بمعنى المسكن، وعلى ذلك جاء القرآن الكريم، فيقول تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا

---

[٤٢] ينظر: العكبري، شرح ديوان المتنبي: ١/ ٣٠٤.

[٤٣] ديوانه: ١٧١.

[٤٤] الواحدي شرح ديوان المتنبي: ٢٧٩.

[٤٥] ديوانه: ١٢١.

[٤٦] ابن منظور، لسان العرب: ٣٩٢/١ (ب ي ت).

[٤٧] السابق: ٣٩٢/١ (ب ي ت).

وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾[٤٨]، ويقول أيضا ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ﴾[٤٩]، على حين يجعل(الأبيات) أكثر ما تستعمل جمعا لبيت الشعر[٥٠].

وقد استعمل المتنبي كلمة (بُيوت) جمعا (للبيت) بمعنى المسكن في قوله[٥١]:

فَهَاجُوكَ أَهْدى في الفَلاَ مِنْ نُجُومِهِ وَأَبْدَى **بُيُوتًا** مِنْ أَدَاحي النَّقَانِقِ

لكنه خالف العرف اللغوي، فجاء بكلمة (البيوت) جمعا لبيت الشعر الموزون المقفى في قوله[٥٢]:

وما قلتُ مِن شِعرٍ تكادُ **بُيوتُهُ** إذا كُتِبتْ يَبْيضُّ مِن نُورِها الحِبْرُ

ويبدو أن المتنبي لم يكن يرى بأسا في هذا التبادل بين صيغ الجمع المختلفة؛ استنادا إلى السياق، وما يصاحبه من قرائن دالة على المعنى المراد.

---

[٤٨] سورة النور، آية:٢٧.

[٤٩] سورة النور، آية:٢٩.

[٥٠] انظر: الطناحي، جموع التكسير والعرف اللغوى:١٥٢.

[٥١] ديوانه:٣٨٩.

[٥٢] السابق:١٧٧.

المبحث الثاني: جموع التكسير بين القلة والكثرة:

يتناول هذا المبحث مسألة القلة والكثرة التي حددها النحاة لصيغ جموع التكسير وتطبيقها في شعر المتنبي، وبيان إلى أي مدى تحقق في شعره ما يعرف لدى النحاة: بجموع خاصة بالقلة، وجموع خاصة بالكثرة.

قسم النحاة جموع التكسير قسمين: جموع قلة، وجموع كثرة، وجموع القلة تدل على العدد من ثلاثة إلى عشرة، ولها أربعة أبنية هي: أفعُل، وأَفعَال، وأفعِله، وفِعْلة. أما ما خالف هذه الأبنية في الجمع فهي جموع كثرة، وتدل على ما فوق العشرة [٥٣].

وقد سوغ النحاة لفكرة التقسيم هذه بأمور، منها: جواز تصغير جموع القلة على لفظها خلافا لجموع الكثرة، فيقال في (أَفلُس): أُفَيْلِس، وفى (أَجْمال): أُجَيْمال، وفي (أَجْرِبة): أُجَيْرِبة، وفي (غِلْمَة): غُلَيْمَة، وجواز وصف المفرد بها نحو: ثَوبٌ أَسْمالٌ، وبُرْمَةٌ أَكسارٌ، وجواز عود الضمير إليها بلفظ الإفراد[٥٤]، نحو قوله تعالى ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾[٥٥]. أما إذا أردنا تصغير جموع الكثرة " صغرنا المفرد ثم جمعناه جمعا سالما، فيقال في (رِجال): رُجَيْلون، وفي (غِلمان): غُلَيْمون، وفي (جِمال): جُمَيْلات، وفي (دراهم): دُرَيْهِمات"[٥٦].

وتقوم فكرة التقسيم هذه لدى النحاة على أساسين: أولهما: أن يكون الاسم ثلاثيا، فإن كان غير ثلاثي فصيغة جمعه واحدة تستعمل في القليل والكثير، وثانيهما: أن يُسمع للاسم المفرد صيغة لكلا الجمعين، فإن لم يرد له إلا صيغة جمع واحدة كأَرْجُل في جمع رِجْل – بكسر الراء وسكون الجيم – ورِجال في جمع رَجُل – بفتح الراء وضم الجيم – فالصيغة مشتركة بين القليل والكثير [٥٧].

---

[٥٣] انظر: سيبويه، الكتاب: ٣/٤٩٠ ، ابن يعيش، شرح المفصل: ٥/٩.

[٥٤] انظر: ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن على، شرح المفصل. المطبعة المنيرية بمصر. بدون تاريخ:٥/١١.

[٥٥] سورة النحل، آية:٦٦.

[٥٦] انظر: ابن يعيش، شرح المفصل ٥/١٠.

[٥٧] انظر: ابن يعيش، شرح المفصل :٥/١١ ، الفيومي، خاتمة الصباح المنير:٦٩٥ .

والأرجح أن هذه التفرقة بين جموع القلة وجموع الكثرة لدى النحاة لتحمل في طياتها دليل ضعفها، وبخاصة عندما يتبعون هذا التقسيم بأنه يجوز وضع جمع الكثرة موضع جمع القلة، وجمع القلة موضع جمع الكثرة، كقول سيبويه " واعلم أن لأدنى العدد أبنية هي مختصة به وهى له في الأصل، وربما شركه فيه الأكثر كما أن الأدنى ربما شرك الأكثر "[٥٨] ، يضاف إلى ذلك أن واقع الاستعمال اللغوي لا يسعف هذه الفكرة ، فمن شواهد القرآن الكريم قوله تعالى ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[٥٩] ، فاستعمل القرآن الكريم جمع الكثرة (قُروء) مع العدد القليل (ثلاثة)، وقوله تعالى ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آَمِنُونَ﴾[٦٠] ، فاستعمل (الغرفات) وهي جمع قلة، والمقام مقام كثرة، كما عيب على حسان بن ثابت قوله[٦١] :

لنا الجفناتُ الغُرُّ يَلْمعنَ بالضُّحَى وأسيافُنا يَقطُرْنَ مِن نَجْدَةٍ دَمَا

استعمل (الجفنات والأسياف) وهما جمعا قلة، وكان ينبغي أن يقول: الجفان والسيوف؛ لأن المقام مقام مدح، وهو ما يستدعى المبالغة والكثرة [٦٢] ، ومن ذلك أيضا قول عمر بن أبى ربيعة[٦٣] :

فكانَ مِجنّي دُون مَنْ كُنتُ أَتَّقِي ثلاث شُخوصٍ كاعبانِ ومُعصِرُ

فاستعمل (شخوص)- وهى جمع كثرة- مع العدد القليل (ثلاث).

وبالنظر إلى استعمالات المتنبي لصيغ جموع التكسير، نجد أنه لم يلتزم ذلك التقسيم الذي أشار إليه النحويون، وأن التركيب لديه، وما يتعلق به من قرائن هو الذي يحدد مدلول الصيغة من حيث القلة أو الكثرة، فيقول[٦٤] :

---

[٥٨] سيبويه، الكتاب:٣/٤٩٠ .

[٥٩] سورة البقرة، آية: ٢٢٨.

[٦٠] سورة سبأ، آية:٣٧.

[٦١] حسان بن ثابت: الديوان، تحقيق: سيد حنفي حسنين. دار المعارف بمصر. ١٩٨٣م :١٣١.

[٦٢] انظر ما دار من خلاف حول بيت حسان في: سيبويه، الكتاب: ٣/٥٧٨، ابن يعيش، شرح المفصل: ٥/١٠، ١١، الفيومي، خاتمة المصباح المنير :٦٩٥ .

[٦٣] عمر بن أبى ربيعة، الديوان. تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الأندلس للطباعة والنشر ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣م: ١٠٠.

[٦٤] ديوانه :١٢٤.

بَهِجرِ **سُيُوفِكَ أغمادَها** تَمَنَّى الطُّلَى أن تكونَ الغُمُودَا

وقوله[٦٥] :

إذا نحنُ سَمَّينَاكَ خِلْنَا **سُيُوفَنَا** مِن التِّيهِ في **أغمادِها** تَتَبَسَّمُ

وردت كلمة (أغماد) في البيتين السابقين مضافة إلى ضمير يعود على (السيوف)، والسيوف جمع كثرة على وزن (فُعول)، و(الأغماد) جمع قلة على وزن (أفْعال)، وفى هذا السياق لا يمكن أن تكون كلمة (أغماد) جمع قلة. ففي البيت الأول يقول عن الممدوح إذا فارقت سيوفك الأغماد لا تعود إليها، وتنتقل من هامٍ إلى هام من رقاب أعدائك، فهي تتمنى أن تكون أغمادا لسيوفك؛ حتى لا تسيئها ولا تضرها، وقيل: أراد أنها تتمنى أن تكون غمودا لسيوفك ومن جملة قتلاك؛ لعلمها أن أعداءك إذا ماتوا بسيوفك كان ذلك فخرا لهم[٦٦]، وفي البيت الثاني يمدح سيف الدولة قائلا "إذا نحن سميناك بسيف الدولة، خلنا سيوفنا في أغمادها تتبسم، مزدهية بك، وتتكبر بادعائها لك"[٦٧]. فأي دلالة لكلمة (أغماد) على القلة في هذين السياقين؟

وقوله[٦٨] :

غادرتَ **أوجُهَهُمْ** بحيثُ لقيتَهُمْ **أَقْفاءهُمْ وكُبُودَهمْ** أَفْلاذَا

فذكر المتنبي كلمتي (الأوجه، والأقفاء)- وهما جمعا قلة- وعطف عليهما كلمة (الكبود)- وهى جمع كثرة- والمتنبي في هذا البيت يتحدث عن الممدوح، ويذكر أنه هزم جيش عدوه حتى أدبروا، فصارت بذلك أقفاؤهم مكان أوجههم في مقابلة العدو، وتركت أكبادهم قطعا[٦٩] ؛ وبذلك تكون كلمتا (الأوجه والأقفاء) في البيت للكثرة وليستا للقلة؛ لأن المقام مقام المدح.

---

[٦٥] السابق :٢٩٤.

[٦٦] ينظر: العكبري، شرح ديوان المتنبي: ١/ ٣٦٩.

[٦٧] ابن الأفليلي، شرح معاني شعر المتنبي: ١/ ٣٢٤ .

[٦٨] ديوانه :٦٣.

[٦٩] انظر: الديوان بالشرح المنسوب إلى العكبري :٨٢/٢ .

وقال[٧٠] :

وأوجهُ فتيانٍ حياءً تلثَّموا عليهنَّ لا خوفًا منَ الحَرِّ والبَردِ

فكلمة (أوجه) جمع قلة وهى مضافة إلى (فتيان) وهى جمع كثرة، والمتنبي يقول: لشدة حياء هؤلاء الفتيان؛ ستروا وجوههم باللثام، والحياء مما يوصف به الكرام[٧١] ؛ حتى أنه ينص على أن الحياء من شيمة الأسد:

وليس حياءُ الوَجهِ في الذئبِ شيمةً ولكنَّهُ من شيمةِ الأسدِ الوردِ

فهم يوصفون بشدة الإقدام مع الحياء؛ ولذلك لا يمكن تفسير كلمة (أوجه) في البيت بأنها تفيد القلة في هذا المقام. ثم كيف يمكن أن تكون (الأوجه) جمع قلة، وهي مضافة إلى جمع الكثرة (فتيان) في هذا السياق؟

وقوله[٧٢] :

وأَمَرُّ مِن فَقْدِ الأَحبَّةِ عندهُ فَقْدُ **السُّيوفِ** الفاقداتِ **الأَجْفُنَا**

والأَجفنُ: جمع جفن، وهو غمد السيف، وهي جمع قلة على وزن (أَفعُل)، و(السيوف) جمع كثرة على وزن (فُعول)، ولا يمكن أن تكون (السيوف) كثيرة، و(غمودها) قليلة؛ كما أنه يصف الممدوح بأن فَقْد السيوف المجردة من الأغماد، أشدُّ عليه وأمرُّ عنده من فقد الأحبة وبعدهم عنه[٧٣]؛ ومن ثم فإن كلمة (الأجفن) في البيت يراد بها الكثرة وليس القلة. ويقول[٧٤] :

أَدَرْنَا **عُيُونًا** حَائِرَاتٍ كَأَنَّها مُرَكَّبةٌ **أَحْدَاقُهَا** فَوْقَ زِئْبَقِ

فقد وردت كلمة(أحداق) في الشطر الثاني مضافة إلى ضمير يعود على (العيون) في الشطر الأول، و(العيون) جمع كثرة على وزن (فُعول)، و(الأحداق) جمع قلة على وزن (أَفْعال)، ولا يمكن أن تكون العيون كثيرة وأحداقها قليلة، وبذلك لا يمكن تفسير كلمة (أحداق) في الشطر الثاني على أنها جمع قلة.

---

[٧٠] ديوانه:٥٤٨.

[٧١] انظر: الديوان بالشرح المنسوب إلى العكبري : ٢/٦٠ .

[٧٢] ديوانه : ١٣٩ .

[٧٣] انظر: العكبري، شرح ديوان المتنبي: ٤/ ٢٠٠.

[٧٤] ديوانه : ٣٣٦ .

وقوله[٧٥] :

شرفٌ ينطحُ النجومَ برَوْقيْ هِ وعزٌّ يُقَلقل **الأجْبَالا**

فالمتنبي يمدح سيف الدولة، ويصفه بأن شرفه يزاحم النجوم في العلو، وعزُّه أثبت من الجبال وأرسى منها حتى صارت الجبال قلقة بالنسبة إليه[٧٦]، فالمقام مقام مدح، ولا يستقيم تفسير كلمة (أجبال) على وزن (أفْعال) بأنها تفيد القلة في هذا المقام.

وبذلك يتضح أن مسالة تحديد القلة والكثرة في باب جموع التكسير، لا ترتبط بواقع الاستخدام اللغوي، وأن تحديد مدلول الصيغة من حيث القلة أو الكثرة يكون بالنظر إلى التراكيب وبمعونة القرائن، ولقد أحسن مجمع اللغة العربية عندما أصدر قراره الذي ينص على أن " الجمع أيًّا كان نوعه (جمع تكسير أو جمع تصحيح) يدل على القليل والكثير، وإنما يتعين أحدهما بقرينة"[٧٧] .

---

[٧٥] ديوانه : ٤٠٣.

[٧٦] انظر: الواحدي، شرح ديوان المتنبي: ٥٨٣ .

[٧٧] مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما، أخرجها وراجعها: محمد شوقي أمين، وإبراهيم الترزي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية بالقاهرة ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م: ٨٧ .

خاتمة البحث

احتوى هذا البحث على مبحثين، المبحث الأول كان عن العرف اللغوي وجموع التكسير، حاول أن يربط بين العرف اللغوي في جموع التكسير واستعمالات المتنبي، وقد أظهر البحث أن المتنبي كان يلتزم بهذا العرف في الأغلب الأعم، ولكنه كان يخرج عنه أحيانا وفق متطلبات السياق.

المبحث الثاني كان عن مسألة القلة والكثرة المرتبطة بجموع التكسير، وهي مما نص عليه النحاة قديما، وقد استعمل المتنبي الجموع التي نص عليها النحاة بأنها للقلة للدلالة على الكثرة، مؤكدا بذلك أن مسألة تحديد القلة والكثرة لدى النحاة لا ترتبط بواقع الاستخدام اللغوي، وأن المرجع في ذلك يكون بالنظر إلى السياق وبمعونة القرائن.

المصادر والمراجع

- ابن الأفليلي، أبو القاسم إبراهيم بن محمد، شرح معاني شعر المتنبي، دراسة وتحقيق الدكتور مصطفى عليان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان،
- الخصائص، تحقيق: محمد على النجار. دار الكتب المصرية. الطبعة الثانية، ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف، ود. عبد الحليم النجار، ود. عبد الفتاح إسماعيل شلب، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة ١٣٨٦هـ.
- حسان بن ثابت: الديوان، تحقيق: سيد حنفي حسنين. دار المعارف بمصر. ١٩٨٣م
- ابن السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق الدكتور عبد الفتاح الحلو، والدكتور محمود الطناحي، عيسى البابي الحلبى، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب. شرح وتحقيق: عبد السلام هارون. دار الجيل، بيروت، لبنان الطبعة الأولى. بدون تاريخ.
- ابن الشجري، هبة الله على بن محمد بن حمزة الحسيني العلوي، أمالي ابن الشجري، تحقيق ودراسة الدكتور/ محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي. الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- الطناحي، محمود محمد، جموع التكسير والعرف اللغوي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء الحادي والسبعون ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، شرح ديوان أبى الطيب المتنبي، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مصطفى البابي الحلبي ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- عمر بن أبى ربيعة، الديوان. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الأندلس للطباعة والنشر ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣م

- الفارسي، أبو علي الحسين بن أحمد، التكملة. تحقيق الدكتور/ حسن شاذلي فرهود. الطباعة العربية السعودية، العمارية. الرياض. الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن على المقري، المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير. تقيق: د. عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، بدون تاريخ.
- القيسي، أبو على الحسن بن عبد الله، إيضاح شواهد الإيضاح. تحقيق: د. محمد بن حمود الدعجاني. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٨٧م.
- المانع، سعاد عبد العزيز، سيفيات المتنبي. دراسة نقدية للاستخدام اللغوي، دار عكاظ للطباعة والنشر، جدة. المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- المتنبي، أبو الطيب، ديوانه، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام، دار المعارف، تونس ١٩٩١م.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما، أخرجها وراجعها: محمد شوقي أمين، وإبراهيم الترزي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية بالقاهرة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: عبد الله على الكبير ، ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلي. دار المعارف بمصر. الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.
- الواحدي، على بن أحمد، شرح ديوان أبى طالب الطيب المتبنى. تصحيح: فريدرنح ديتريصي، برلين ١٨٦١م، نشر دار الكتاب الإسلامي، القاهرة. بدون تاريخ.
- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن على، شرح المفصل. المطبعة المنيرية بمصر. بدون تاريخ.